شعرية النسر
والتقاليد الجمالية الرومانسية

obeikandl.com

obeikandl.com

ستلقانا فى الشعر العربى الرومانسى قصائد متعددة توظف رمز النسر توظيفا شعريا جديدا، لقد تحولت شعرية النسر مع تحولات الهموم الحضارية والشعرية العربية،لقد ظل الشعر الوجدانى يجسد هموم الواقع والحضارة فى جميع أنماطه الجمالية، وأشكاله البنائية على غير ما أشيع عنه ظلما بأنه شعر برج عاجي منعزل يخاصم الواقع وهمومه العامة، لكن الرومانسية مثلها مثل أى مدرسة جمالية أخرى تجسد الواقع والعالم أيضا ولكن وفق أنماط أدائها الجمالى والأسلوبى الخاص بها ، وفى كل الأحوال ستنتقل الأسطورة فى بنية النص الرومانسى لتصير بنية نصية فى المقام الأول، وستتحول الأسطورة هنا إلى نص جمالى ضمن بنية النصوص الشعرية، إن الأسطورة التى تغنى الشعر هى الأسطورة التى تندمج بالتجربة الشعرية، وتندمج بها التجربة، لا التى تظل عالقة على واجهة القصيدة، عندئذ يتحول رمز النسر إلى معطيات تخييلية وإيقاعية وروحية، وتكف القصيدة أن تكون مجرد معطيات حرفية مادية تحاكى صورة الواقع الخارجى وكفي، إن شعرية النسر في التقاليد الجمالية والمعرفية الرومانسية تحولت إلي بنية النص الشعرى لتكون بناء جماليا يعبر عن أشواق الذات الفردية والجماعية ، فى توترهما التخييلى مع بنية الواقع الاجتماعى والحضارى المحيط بهما، لقد تطور الرمز الأسطورى للنسر بتطور المكونات العقلية والنفسية والروحية للذات الشعرية نفسها، ومن هنا فإن نسر عمر أبى ريشة سيكون صورة من صور الذات الرومانسية التى تجعل من الذاتى الفردى كليا كونيا، فالشعرية الرومانسية لا تحفل بالخارج قدر احتفالها بالداخل ، ترى الذات أس العالم ومداره النشط الخلاق .

أصـــــبح الســـــفح ملعبـــــا للنســـــور
فأغضـــي يـــا ذرى الجبـــال وثـــوري
إن للجـــــرح صـــــيحة فابعثيهـــــا
فـــي ســـماع الـــدني فحـــيح ســـعير
واطرحـــي الكبريـــاء شـــلوا مـــدمي
تحـــت أقـــدام دهـــرك الســـكير !!!
لملمـــي يـــا ذرى الجبـــال بقايـــا النســـر
وارمـــي بهـــــا صـــدور العصـــور
إنـــه لـــم يعـــد يكحـــل جفـــن الـــنجم
تيهـــــا بريشـــــه المنثـــــور
هجـــر الـــوكر ذاهـــلا وعلـــى عينيـــه
شـــئ مـــن الـــوداع الأخيـــر
تاركـــا خلفـــه مواكـــب ســـحب
تتهـــاوى مـــن أفقهـــا المســـحور
كـــم أكبـــت عليـــه وهـــي تنـــدي
فوقـــه قبلـــة الضـــحى المخمـــور

. . .

هـــبط الســـفح ... طاويـــا مـــن جناحيـــه
علـــى كـــل مطمـــح مقبـــور
فتبـــارت عصـــائب الطيـــر مـــا بـــين
شـــرود مـــن الأذى ونفـــور
لا تطيـــري جوابـــة الســـفح فالنســـر
إذا مـــا خبرتـــه لـــم تطيـــري
نســـل الـــوهن مخلبيـــه وأدمـــت

obeikandi.com

منكبيــــــــه عواصــــــــف المقــــــــدور
والوقـــــــار الــــــــذي يشـــــيع عليـــــــه
فضـــلة الإرث مـــن سحــــيق الــدهور !!

. . .

وقــــف النســــــر جائعـــــا يتلـــــوى
فــــوق شـــلو علــــى الرمـــال نثيـــــر
وعجـــــــاف البغــــــــاث تدفعـــــــــه
بالمخلــــب الغــــض والجنـــاح القصـــير
فســـرت فيـــه رعشـــة مـــن جنـــون
الكبـــــر واهتـــــز هـــــزة المقـــــرور
ومضـــى ســـاحبا علـــى الأفـــق الأغبـــر
أنقــــــاض هيكــــــــل منخــــــــور
وإذا مـــــا أتــــى الغياهـــب واجتـــاز
مـــدى الظـــن مـــن ضـــمير الأثيـــر
جلجلـــت منـــه زعقـــة نشـــت الآفـــاق
حـــــرى مـــــن وهجهـــــا المســـــتطير
وهــــوى جثـــة علـــى الـــذروة الشـــماء
فـــــي حضــــن وكـــــــره المهجــــور !

. . .

أيهـــا النســـر هـــل أعـــود كمـــا عـــدت..
أم الســـفح قـــد أمـــات شـــعوري ؟ ![٧٨]

تنعقد شعرية النص هنا من خلق مفارقات رومانسية عدة بين جماليات الذرى ممثلة فى قدرة النسر على السمو وجماليات السفوح المنحدرة متمثلة فى التردى

والانحطاط إلى واقع الحياة الكئيب،ودائما كانت الذات الرومانسية نزاعة لخلق مثل هذه المفارقات المتوترة والمتواترة بين الواقع والمثال من جهة، ومعوقات الممكن وطلاقة الخيال من جهة أخرى ، وكانت رمزية النسر هنا هى المحفز الحسى الجمالى لخلق توتر المفارقة الرومانسية بين الأعالى والسفوح، فالشعر يبدأ نصه بنعى هذه النهاية المأساوية للنسر حيث صارت ترديات السفوح مأوى له بعد كرامات الذرى، وسامي الاعتلاء، فى الفضاء الطلق البعيد حيث يأتى الفضاء هنا ممثلا فى(ذرى الجبال) مثارا لخلق الأفق البديل للذات الرومانسية الحالمة دوما بعالم آخر أكثر كمالا وعلوا وتساميا، والشعر عندما يطلق فحيح السعير على الأكوان كلها فى بداية نص أبى ريشة جراء تهاوى النسر وانحداره، فهو يلقى بظلال الذات الرومانسية على الوجود كله لتلونه بألوانها الخاصة خالعة عن الأشياء والموجودات صفاتها الحسية فى الواقع ملبسة إياها ظلالها السامية حتى تحول الموضوعى إلى الذاتى ، والجمعى إلى الفردى، والعالم المترامى فى ضحولته،إلى أعماق الذات الموغلة فى حريتها وطلاقتها العميقة، ومن هنا تكون مأساة النسر هى مأساة العالم أجمع، هذا العالم الذى يفتت وجودنا بين واقع قاس مبتذل ومتردى، ومثال سامٍ بعيد المنال، ويتغلب النسر على هذه المفارقة البائسة والموحشة، بخلق حلم الطيران كما جاء فى معظم الأساطير القديمة، يقول هيلين لجندر: ((لقد كان التوق إلى التحليق فى الجو حلما من أكثر الاهتمامات استغراقا للإنسانية إن ثمة رغبة مستعرة تتعلق بالشعور بالخفة فى الوزن *Lightness* والحركة الصاعدة إلى أعلى والتحليق فى أرجاء الفضاء ، تنحو نحو المخالفة والمعارضة لجبرية وحتمية الجاذبية الكونية))[٧٩] ،إن صور الشلو المدمى وعجاف البغاث الغضة المخلب، والغياهب الأرضية، والسفوح الواطئة، تقف فى موازة قائمة على المفارقة التخييلية، مع ذرى الجبال، واجتياز ضمير الأثير، والآفاق المنتشية

بوهجها المستطير، عن تكثيف المفارقة بين الجانبين يعلو بالخيال إلى آفاق سامية من الطيران ، يقول باشلار(إن الشعور بالعلو والارتفاع هو شعور مستحب بوجه عام، وهو أمر راجع إلى دينامية الخيال ونشاطه))[٨٠] .

يتخذ الرومانسى من براق الخيال مركبا لتجاوز الواقع الكسير، والفرار من حدود الزمان والمكان ، مثلما كانت النسور دائما فى موروثها الأسطورى قادرة على اختراق الحجب المكانية والزمانية،حتى لأظن بأن أسطورة البارح والسارح وزجر الطير ربما كانت تدشن هذا الحس الإنسانى القديم بالانتصار على حدود الغيب والمجهول واختراق حدود الزمان والمكان بكافة صورهم السائدة والمعتادة،ومن هنا يكون رمز النسر عند أبى ريشة قادرا على رأب الفجوات الزمانية والمكانية بين الذات والواقع والعالم كله من حولها ، وما مغالبة النسر انكساره وهبوطه على السفوح غير هذا التصور، جامعا بين الذاتى الفردى ممثلا فى الذات الرومانسية الناعية وجودها فى عالم كسير متردى، والجمعى الحضارى ممثلا فى لم شمل الهوية العربية المنكسرة بين متناقضات السياسة والاجتماع والاقتصاد و الصورة الكلية الممزقة للحضارة العربية المعاصرة، يقول إيليا حاوى ((ويخيل إلى أن النسر هو العربى وارث سؤدد التاريخ والحضارة وأسطورة البطولة والفروسية ، لقد كان نسر الزمان ، أما الآن فإنه يتجلبب بوقار أجداده من الخارج ، إنه العربى الذى افتقد مخلب القوة والتفوق ، إنه فاقد العزم فجعلت تعبث به الهوام بمخلبها الغض المخذول ، وجناحها القصير الحقير، وهو صاحب المخلب الضارى والجناح الذى روض زعازع الفضاء ، فقنط ولم يطق هوانه))[٨١] ، ويذهب الدكتور عبد القادر القط فى تفسيره رمزية نسر أبى ريشة إلى نفس ما ذهب إليه إيليا حاوى، فيقول : ((وللشاعر عمر أبى ريشة قصيدة أسماها النسر يرمز فيها إلى العزة الذاوية التى تأبى أن تقضى فى مهاوى الحضيض ، فتنهض

من شيخوختها نهضة أخيرة تحلق فى سماواتها القديمة ثم تهوى على ملاعبها الأولى فوق القمم بدل أن تموت فى وهدة السفوح ، والقصيدة تتضمن طرفين نقيضين، ضعف البدن وعزة الهمة،فكان طبيعيا أن يستدعى كل طرف ما يتصل به من أخيلة وصور))[٨٢] وهو نفس ما توصل إليه كل من النقاد:شوقى ضيف فى كتابه : ((دراسات فى الشعر العربى المعاصر)) وإيليا حاوى فى كتابه((عمر أبو ريشة شاعر الجمال والقتال)) فى لبنان، ونذير العظمة، و الدكتور سامى الدهان، فى سوريا، نذير العظمة فى كتابه((سفر العنقاء)) وسامى الدهان فى كتابه((الشعر الحديث فى الإقليم السورى)) معهد الدراسات العربية فى القاهرة، ١٩٦٠، و هو نفس ما توصل إليه أيضا الدكتور محمد صوالحة فى الأردن، فى كتابه ((الشعر الملحمى والمسرحى عند الشاعر عمر أبوريشة))[٨٣] ، والذى قال والدكتور محمد صبرى فى كتابه(الشعر فى سوريا) الذى قال(إن نسر أبى ريشة صورة رمزية دلت على اضطرابه وترجحه بين عالم الفن والواقع ، وشقائه فى حياته على الأرض))[٨٤] ، لكننا نخالف معظم النقاد السابقين فى تصورهم للثنائية الخيالية والمعرفية الرومانسية ، ونرى أن الخيال الرومانسى أعقد وأثرى فى خلقه وتركيبه، من القبوع فى الثنائيات الفكرية والروحية السائدة بين النقاد المعاصرين فى تصورهم جدلية الذات والموضوع، أو الواقع والمثال،إن الخيال كان قادرا باستمرار على رأب الفجوات المتكثرة ليرد كثرتها المتعددة والمتنوعة إلى إحساس كلى مهيمن ، وفى اتساق حيوى خلاق، بين الفجوات المتكثرة للذات فى صورها المتكثرة وبين الموضوع فى تعدده المتكثر أيضا، حتى يلتم الشمل الرمزى الثقافى لهموم الذات والحضارة جميعا فى أتون الخيال الصاهر والخالق معا، حيث تتداخل التقاليد الجمالية الجمعية بالتقاليد الجمالية الفردية والتقاليد الجمالية السائدة والمعاصرة للشعر نفسه، وهموم الذات بهموم الواقع بهموم المستشرف الآتى المومض

فى سماء الغيب ، فى صورة جدل تخييلى منظومى تداخلى كلى يتجاوز فكرة الثنائيات المتعددة القائمة على جدل العناصر الفقيرة إلى جدل الأنساق المتعددة المتداخلة، وكنت قد أشرت فى دراسة مطولة لى من قبل فى مجلة فصول القاهرية عن ((نقد الواقعية الاشتركية وخطاب نقد النقد)) إلى وجوب إعادة فحص تصوراتنا النقدية والشعرية والروائية فى واقعنا الأدبى المعاصر من جديد وفق سياقات معرفية وجمالية تعددية، تنقل مفهوم الهوية بكافة أشكاله، وأنماطه، وتجلياته، من فكرة الثنائيات الحاسمة الفقيرة التى تجرد العالم وتفقره من ثرائه الحسى والمعنوى والفكرى المذهل، إلى فكرة المنظومات المعرفية التعددية التداخلية ليعمل الفكر النقدى المعاصر جماليا ومعرفيا وتخييليا وفق ما أطلقت عليه : ((التآذر المنظومى البينى التداخلى)) بما يكشف عن ثراء الوعى الشعرى والحضارى العربى على مدار أزمنته وأمكنته ، يجب أن ننقل مفهوم الهوية الثقافية والجمالية والنقدية من فكرة العناصر الثنائية إلى فكرة الأنساق الطيفية التعددية البينية التى تحقق الشرط العلمى التعددى لمفاهيم البنى العضوية الكلية المتفاعلة عبر أنساقها الداخلية التعددية من جهة، و أنساقها الخارجية المفتوحة جدليا على الأنساق الخارجية للعالم من جهة ثانية ، إننا فى حاجة كما يقول الناقد الفلسطينى الأمريكى الجنسية إدوارد سعيد ((فى الوقت الراهن إلى تواريخ غير شلة ، رزينة ، تبين بجلاء تعددية وتعقد التاريخ ، دون الخروج باستنتاج أنه يسير إلى الأمام بطريقة مجهولة ، حسب قوانين يحددها إما المقدس وإما الأقوياء)) ومن هنا كان تصورنا النقدى لما أطلقنا عليه ((منهجية التحقيل المعرفي والتخييلي)) التى تقترح المنهج المنظومى البينى التداخلى لإعادة تأسيس مفهوم الهوية المعرفية والفكرية والشعرية والنقدية ، وهذه التصورات المنهجية الجديدة كانت ديدننا في كثير من كتاباتنا وهي تمثل مرتكزا معرفيا وثقافيا رأيناه

مهما فى مراجعة كثير من الأوهام المنهجية الثنائية التى سادت خطابنا النقدى المعاصر منذ زمن ليس بالقصير ، ولعل هذا يساعدنا على وعي هويتنا الحضارية فى كافة شكولها النسقية التداخلية وكيفيات تعالقات هذه الأنساق العديدة المتباينة!! فهناك أحكام نقدية يجب أن تراجع ، وهناك معايير جمالية شاعت كان من الواجب أن تأخذ حقها من التمحيص والتفنيد.ولعلنا نقف هنا أمام قصيدة رومانسية أخرى كتبت فى العصر الحديث أو قل كتبت بعد أن انتهت الرومانسية كمذهب فني لكنها تؤكد هنا أن الرومانسية هى مكون وجودى ومعرفي قبل أن تكون مذهبا جماليا ، كما تؤكد أن الشعرية العربية الحديثة شعرية مهمومة بهويتها البعيدة والقريبة والمستشرفة في وقت واحد ، فالقصيدة مبنية بناء كلاسيكيا فخما ولكنها ترفل في أفواف روحية وتخييلية رومانسية ، ولعلنا نتذكر هنا قصيدة العقاد عن ((العقاب الهرم))- وهى درة من درر الشعر المعاصر- فالشعر يتنادى إلي الشعر والجمال يغتذي بالجمال ، يقول الشاعر سعد عبد الرحمن :

إلى النسر الجريح

على أي وهم بت آسيان تندب
وأيان تمضي ليس ثمة مهرب
زمانك ولى والبطولات أطفأت
قناديلها والصحب عنك تنكبوا
ورايات الشم العظام تمزقت
ومرغها في الوحل نحس مركب
وكل مغاني العز شابت ربوعها
وحط عليها البوم بالذل ينعب
خراب على كل الميادين جاثم

وموت سرى في كل درب يكبكب
ألا أيها النسر الكبير جناحه
هو الصبر .. ترياق الرزايا المجرب
فلملم قليلا ما تناثر في الثرى
من الحلم وألزم جانب السفح.. أنسب
وفي الصخر أنشب إن قدرت مخالبا
براها الضنى .. عل المخالب تنشب
فإن كنت تأبى أن تعيش رهينة
بأيدي بغاث الطير .. تشكو وتعتب
وتسفي عليك الريح في كل هبة
هشيما.. كما لف الذبابة عنكب
وإن كنت تأبى أن تموت محطما
بحسرة قلب في الأسى يتقلب
وتطحنه ذكرى طموح مضيع
وأصداء مجد ضمه اليوم غيهب
فضمد جراحات الجسارة وانتفض
فرب بقايا من قواك توثب
وأسرج جياد العزم ثم اقتحم بها
كهوف الثعابين التي بت ترهب
ترى أنها أوهام عقل مضلل
وأشباح ليل حين تصحو ستهرب
ألست الذي كان الشموخ دليله
وصاحبه أيان يأتي ويذهب
وكانت شياطين الجحيم تخافه
وترعد من ثوراته حين يغضب

oberkandl.com

ألســـت الـــذي روى الثـــرى بدمائـــه
فتحت خطـــاه الأرض تربـــو وتعشـــب
وكانـــت صـــعاليك الجـــوارح كلهـــا
تناديـــك فـــي أزماتهـــا فترحـــب
يبثونـــك الهـــم الـــذي يكتمونـــه
فتـــذرف عينـــاك الـــدموع وتســـكب
وإمـــا أتـــوا يستصـــرخون تغيـــثهم
ولا تشـــتكي ضـــيقا ولا تتعصـــب
وفي كل يـــوم كنـــت تشـــحذ عـــزمهم
وتـــدنيهم مـــن حلمهـــم وتقـــرب
لـــذلك لـــم تعشـــق ســـواك قلـــوبهم
فأنت لهـــم نعـــم الحبيـــب المهـــذب
وأنـــت لهـــم عنـــوان كـــل فضـــيلة
وأنت لهـــم أشـــهى الحـــديث وأعـــذب
فتحـــت لهـــم ســـفر الحيـــاة مشـــجعا
فلـــم يقـــرأوا إلا هـــواك ويكتبـــوا
ولكـــنهم عـــادوا شـــراذم كلمـــا
جمعـــتهم مـــن أجـــل أمـــر تشـــعبوا
وصاروا كما وحـــش الفـــلاة تنـــافرا
فلا النصح يهديهم ولا الزجـــر يرهـــب
إلـــى أن تغشـــتك الهـــزائم جملـــة
وجانبـــك التوفيـــق فيمـــا تجـــرب
ونازعـــك الغربـــان مـــا قـــد ورثتـــه
وما كنت في ســـاح المعـــارك تكســـب

" تهـــم ويعييـــك النهـــوض " فتنثنـــي
تجرر فـــي الأرض الجنـــاح وتســـحب

فيـــدهمك الحـــزن الـــذي مـــا عهدتـــه

ويخنقـــك الغـــيظ العنيـــف المعـــذب
وتذكر أعصـــارا مـــن الزهـــو عشـــتها
تروض من شـــكس الريـــاح وتركـــب
تحلـــق فـــي أوج الفضـــاء مجـــاوزا
فتخطـــف أبصـــار الجميـــع وتخلـــب
وتكنس أسراب الجـــراد عـــن الـــذرى
وتـــــدرأ أوبـــــاش الطيـــــوروتجنـــــب
وإن شـــذ منهـــا طـــائر ذو حفيظـــة
تطـــارد يومـــا مـــا يشـــذ وتعطـــب
فتنـــدم أن فرطـــت فيمـــا لأجلـــه
قضيت ســـواد العمـــر تســـعى وتـــدأب
لقد رحت مـــن فـــرط الندامـــة ذاهـــلا
وها أنت كـــالمجنون تهـــذي وتصـــخب
فأخطأت مـــا قـــد كنـــت قبـــل تصـــيبه
وأعجمت ما قد كنت بـــالأمس تعـــرب
فهل يـــا تـــرى مـــن عزمـــة عبقريـــة
تقـــوم معـــوج الأمـــور وتنصـــب
وتهتـــك أســـتار الظـــلام جميعهـــا
فيسطع وجه النـــور .. والنـــور أغلـــب

تنعقد شعرية النص هنا من خلق مفارقات رومانسية عدة بين جماليات الذرى ممثلة فى قدرة النسر على السمو وجماليات السفوح المنحدرة متمثلة فى التردى والانحطاط إلى واقع الحياة الكئيب،ودائما كانت الذات الرومانسية نزاعة لخلق مثل هذه المفارقات المتوترة والمتواترة بين الواقع والمثال من جهة، ومعوقات المكن وطلاقة الخيال من جهة أخرى، وكانت رمزية النسر هنا هى المحفز الحسى الجمالى لخلق توتر المفارقة الرومانسية بين الأعالى والسفوح،ومن هنا تكون مأساة النسر هى مأساة العالم أجمع ، هذا العالم الذى يفتت وجودنا بين واقع قاس مبتذل ومتردى، ومثال سامٍ بعيد المنال ، ويتغلب النسر فى النص على هذه المفارقة البائسة والموحشة، بخلق حلم الطيران كما جاء فى معظم الأساطير القديمة،يقول هيلين لجندر : (لقد كان التوق إلى التحليق فى الجو حلما من أكثر الاهتمامات استغراقا للإنسانية، إن ثمة رغبة مستعرة تتعلق بالشعور بالخفة فى الوزن *Lightness* و الحركة الصاعدة إلى أعلى والتحليق فى أرجاء الفضاء ، تنحو نحو المخالفة والمعارضة لجبرية وحتمية الجاذبية الكونية) ، وليس مثل الذات الرومانسية أفقا لتجسيد هذا التوتر الدامي بين حلم الطيران الحر عبر فضاءات المثال ، وقلق الارتكاس في حتمية ضرورات الواقع الاجتماعي والثقافي المحيط بالذات ، إن الشعر هنا يجسد لنا عبر تداخل الوجدان الفردى بالجمعى بالأسطوري حلما بديلا للحياة بكاملها ، ويتمثل هذا التجسيد فى تعدد تفاصيل بنية الدراما الرومانسية النابعة من الذات والتى تصور مأساة النسر حال سقوطه من علياء مثاله يندب حظه الأسيان،وتخلي بغاث الوجود والواقع عنه،حيث الموت الجاثم فى كل مكان ، والتراخى المكبكب فى دروب الواقع،إن النص يبني توتر المفارقة الدرامية بين الذات والواقع من خلال توتر عناصر الطبيعة ملتحمة بتوتر عناصر الذات ، فثمة سافى الريح المطيح بعزة النسر فتذروه هشيما مدمى،وتحيله

من قوة صاعدة للعلاء إلى تحدر هاو فى شباك العناكب،ومن ملك الطير القادر على خلق أفق الحياة،إلي تسيد صعاليك جوارح الواقع عليه تتخطف كبرياءه، وتتنازعه مثله الأعلي فتحطه عنه،ويتحول الشعر من فتح كتاب الحياة والوجود،إلي شلو مدمى غير قادر علي الرفرفة والسمو والتحول،شة توتر بين الحرية والضرورة،والواقع والمثال،وبين الثقافة والتخييل،أو قل بين افتراضية الثقافة وقوة حيوية الحياة،ولعل النص يبنى هذه المفارقات المتوترة والمتواترة بين الفردى والجمعي،والواقع والمثال،والحرية والضرورة ، وتصلب واحدية الهوية وتعدد انفتاحها على الممكن والممتنع والمستحيل ، يخلق الشعر كل هذا من خلال معادلات شعرية حسية رمزية تتخذ من عناصر الطبيعة جسدا حيا لها ، ويبنى النص مفارقاته المتضادة بين الواقع والمثال من خلال بنية المفردات والتراكيب والصور والأخيلة والإيقاع الصوتى الدقيق ، ولعل غلبة الأصوات الإنفجارية القلقة فى المفردات مايؤطر عمق مأساة الاعتلاء والسقوط، وتوترها بين مخالب الضرورة ، وقوة حلم الحرية بالانفلات والتحليق والتسامي ، لكن الشعر يحقق فى النص انتصارا مذهلا علي معوقات الواقع علي غير عادة الجماليات الرومانسية التى تستسلم فى الغالب إلى الفرار من جهامة الواقع إلي بهجة الخيال ، يقول الشاعر مخاطبا النسر - الذات - المثال- الحلم :

تحلق في أوج الفضاء مجاوزا
فتخطف أبصار الجميع و تخلب
وتكنس أسراب الجراد عن الذرى
وتدرأ أوباش الطيور وتجنب
وإن شذ منها طائر ذو حفيظة
تطارد يوما ما يشذ وتعطب
فتندم أن فرطت فيما لأجله

قضيت سواد العمــر تســـعى وتــدأب
لقد رحت مــن فــرط الندامــة ذاهــلا
وها أنت كــالمجنون تهــذي وتصــخب
فأخطأت مــا قــد كنــت قبــل تصــيبه
وأعجمت ما قد كنــت بــالأمس تعــرب
فهل يــا تــرى مــن عزمــة عبقريــة
تقوم وتهتــك أســتار الظــلام جميعهــا
فيسطع وجه النــور .. والنــور أغلــب
معــــــوج الأمــــــور وتنصــــــب

إن مفردات الذرى والتحليق والتجاوز قد سيطرت علي نهاية النص ، بل نجد مفـردة الجنـون التـى تمثـل قـوة الجمـوح الرومانسـى ضـد عقلانيـة اللغـة والواقـع والثقافة،فالشعر الرومانسى معني هنا بتفتيت وهمية الشرعية العقلية السائدة متخذا من الجنـون المحطـم البـانى سلما لارتقـاء الـذات والواقـع والثقافـة عبر قـوة التخييـل الرومانسى ، لقد كـان النسر هنـا رمـزا أسطوريا جامعـا لقـوة الزمـان والتـاريخ السرى العميق للمجتمع العربي الكسير، إذ لابد كما يقول الشعر من عزمة عبقرية تقوم المعوج وتسدد الطائش ، وتبنى المحطم ، وتهتك الظلمة العتية للواقع والثقافة، لقد تفقد النسر استشرافا لزمنيـة عربيـة أخـرى تكـون قـادرة علـى إعـادة الهويـة العربيـة المعاصـرة إلـي تجانسها الزمـانى والحضـارى بين الماضى والحاضر والمستقبل،للم شمل الهويـة العربيـة الممزقة بين متناقضـات السياسـة والاجتمـاع والاقتصـاد والثقافيـة ، يقـول الـدكتور إليـا حـاوى:(ويخيـل إلى أن النسـر هـو العربـى وارث سـؤدد التـاريخ والحضـارة وأسـطورة البطولـة والفروسية ، لقـد كـان نسـر الزمـان، أمـا الآن فإنـه يتجلبـب بوقـار أجداده من الخـارج ، إنه العربى الذى افتقد مخلب القوة والتفـوق ، إنـه فـاقد العـزم فجعلـت تعبـث بـه الهـوام بمخلبهـا الغـض المخـذول، وجنـاحهـا القصـير الحقـير، وهـو صـاحب المخلـب

الضارى والجناح الذى روض زعازع الفضاء ، فقنط ولم يطق هوانه) ، وبهذه المثابة يحاول الشعر الرومانسى أن يتغور اعماق واقعه الكائن ليستشرف واقعه الممكن، الشعر يثير الثقافة لتتحرك عن كوامنها ، ويتبطن ذات التاريخ ليعيد رأب صدوعه ، ولقد التخييل الرومانسى أكثر جسارة فى الوعى بالواقع الثقافى العربي من عقلانية الثقافة،ذلك أن الشعر هو شجرة الحياة المتجددة بينما الثقافة تظل قابعة ضمن حدود التعقل ، وسدود التصور .

obeikandl.com